

صارت العبارة القدرية « كان مقدرًا لهذا أن يحدث » هي البديهية العمياء في حياة شريف وذلك لانتهياره وغيظه .

وذات يوم استقبل شريف في مكتبه شابًا وصل لتوه للعمل في نفس الإدارة ، وبمجرد أن نظر شريف الى القادم الجديد اجتاحتها الدهشة والحيرة « كان شريف يعرف الشاب جيدا بالطبع ، كان معه في المدرسة عندما كانا في نفس السن ، كان في مظهره الخارجى رفيق دراسته محسن ، ليس هذا فحسب ، بل كان له نفس الصوت والحركة وطريقة الكلام والتلعثم والطريقة التى يبلع بها ريقه ، كان فى كل شىء الخيال الحى لصديقه التعس ، كان القادم الجديد ابن محسن ، فبعث العاطفة والذكرى القديمة ، وصمم شريف على أن يأخذ الشاب تحت جناحه كما لو كان ولده ، ودعاها للعيش معه فى منزله . ومرة ثانية ظهر شعاع من الأمل ومعنى فى حياة شريف ، أصبح رجلا جديدا ، صدوقا واجتماعيا وحيا ، لقد استرد حياته الفقدوة »

لكن الحياة الجديدة لم تدم أكثر من أسبوعين ، أسبوعين سحريين ، ودارت العجلة مرة ثانية ، وذات يوم يصله فى المكتب خبر موت « مجيد » غريقا فى بركة الحديقة التى وراء منزله ، واندفع شريف الى المنزل واحتضن جثة مجيد التى كانت ممددة فى الشرفة « كانت ستارة سوداء داكنة قد انسدت أمام عين شريف ، وبخطوات ثقيلة ويطيئه عاد من نفس الطريق الذى جاء منه وقد عقد ذراعيه خلف ظهره وسار تحت المطر ، لقد عانى نفس المشعور الذى عاناه عند وفاة محسن ، واستمر يكرر فيما بيئه وبين نفسه « كان مقدرًا لهذا أن يحدث(٤) » .

(٤) أصدر هنرى لو ترجمة جزئية للقصة فى :
Life and Letters, PP. 260 ... 70.